ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Britain's Position against French Occupation of Tunisia in the Years 1881-1904

Ne'mah Bahr Fayyadh

College of Education for Girls - Tikrit University

Mustafa Hamoudi Ahmed

General Directorate of Education of Salah al-Din Governorate.

* *Corresponding author: E-mail* :
Mustaf99557@gmail.com

***Keywords*:**
French occupation of Tunisia
Tunisia
France
Britain
Mediterranean Basin

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	1 Sept 2024
Received in revised form	25 Nov 2024
Accepted	2 Dec 2024
Final Proofreading	2 Mar 2025
Available online	3 Mar 2025

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

The Mediterranean basin witnessed a state of conflict between the major countries in an attempt to control it by all means, especially France, which took the Mediterranean basin of great importance after its occupation of Algeria and expansion towards Tunisia overlooking it, which made it clash with Britain, which controlled it and refused the entry of any colonial country to extend its control over it as it was of great importance to it, and the entry of any colonial power or the extension of its influence over it or part of it meant a threat to it and its interests as it was the main passage for its commercial and military ships that were heading to the regions of the East and its colonies in India, which it called the jewel of the British crown. The Mediterranean basin took on greater importance for British policy after the opening of the Suez Canal to international navigation in 1869, and the diversion of the global trade route from the Cape of Good Hope to the Mediterranean basin and passage through the Suez Canal, the Red Sea and the Arabian Gulf towards the East, so Britain was striving to keep the Mediterranean basin a British lake, and continued to carefully monitor France's movements, especially after its occupation of Tunisia on May 12, 1881. Despite the success of the occupation and France's dominance over all regions of Tunisia, Britain remained a stumbling block to its projects in Tunisia until the settlement of the differences between them after signing the Entente Cordiale in 1904, which ended the state of conflict between them for many centuries.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.3.8.2025.9

موقف بريطانيا من الاحتلال الفرنسي لتونس 1881-1904

نعمه بحر فياض / كلية التربية للبنات – جامعة تكريت

مصطاف حمودي احمد / المديرية العامة لتربية صلاح الدين

الخلاصة:

شهد حوض البحر المتوسط حالة صراع بين الدول الكبرى في محاولة السيطرة عليه بكل السبل ولاسيما فرنسا الذي اخذ حوض البحر المتوسط يشكل لها أهمية كبرى بعد احتلالها للجزائر ولتوسيع نطاق نفوذها الاستعماري باتجاه تونس التي كانت تطل عليه وتمتلك شريطا ساحليا شكل أهمية كبرى ولاسيما

للملاحة الفرنسية ، الا انها اصطدمت بالنفوذ البريطاني الذي كان مسيطرا على سواحل البحر المتوسط في شمال افريقيا وترفض دخول أي دولة استعمارية لها الرغبة في بسط سيطرتها على ذلك المسطح المائي، كونه كان يشكل أهمية كبرى في مجالها الاستعماري وان دخول أي قوة استعمارية لبسط نفوذها عليه او على جزء منه فانه يعد تهديداً لها ولمصالحها كونه المرر الرئيس لسفنها التجارية والعسكرية التي كانت تتجه الى مناطق الشرق ومستعمراتها في الهند التي كانت تطلق عليها درة التاج البريطاني وقد اخذ حوض البحر المتوسط أهمية اكبر بالنسبة للسياسة البريطانية بعد فتح قناة السويس امام الملاحة الدولية عام 1869 ، وتحويل طريق التجارة العالمي من راس الرجاء الصالح الى حوض البحر المتوسط والمرور عبر قناة السويس والبحر الأحمر والخليج العربي نحو الشرق ، لذا كانت بريطانيا تسعى جاهدة الى بقاء حوض البحر المتوسط بحيرة بريطانية ، وظلت تراقب بحذر تحركات فرنسا ولاسيما بعد احتلالها لتونس في 12 أيار 1881 ، وعلى الرغم من نجاح الاحتلال وفرض فرنسا هيمنتها على المناطق التونسية كافة، الا ان بريطانيا ظلت تشكل حجر عثرة امام مشاريعها في تونس حتى انهتها تسوية الخلافات بينهما بعد التوقيع على اتفاقية الوفاق الودي عام 1904 التي انهت حالة الصراع بينهما لقرون عديدة .

كلمات مفتاحية : الاحتلال الفرنسي لتونس – تونس – فرنسا – بريطانيا – حوض البحر المتوسط – ميناء بنزرت .

المقدمة :

وضعت فرنسا مسألة احتلال تونس ضمن أولوياتها الاستعمارية منذ احتلالها للجزائر عام 1830 ، الا انها تأخرت نحو نصف قرن على احتلال تونس بسبب خشيتها من معارضة بريطانيا التي كانت على الدوام تحاول ابعاد فرنسا واي قوة اوربية أخرى عن سواحل البحر المتوسط الذي اخذ أهمية في سياستها الخارجية كونه كان يشكل طريق مرور لسفنها التجارية والعسكرية عبر مياهه ، ولاسيما ان بريطانيا كانت تسعى جاهدة في جعل حوض البحر المتوسط بحيرة بريطانيا ، وفي الوقت نفسه فان فرنسا ظلت تتحين الفرص من اجل احتلال تونس وإيجاد لها موطئ قدم على سواحل البحر المتوسط ، لذا عملت السلطات الفرنسية على استغلال الأوضاع التي كان يمر بها حوض البحر المتوسط وانشغال بريطانيا بمواجهة الرفض المصري للاحتلال الفرنسي لمصر ، فضلا عن ما قامت به بريطانيا هناك بالحاق السودان بمصر بموجب اتفاقية الحكم الثنائي فكانت تلك الاحداث السبب في قيام الجانب الفرنسي المضي بمشاريعه التوسعية في تونس ، ومن هنا جاء اختيار موضوع البحث الموسوم : موقف بريطانيا من الاحتلال الفرنسي لتونس 1881–1904 ، والذي تضمن اربعة محاور جاء الاول منها بعنوان : سياسة بريطانيا تجاه تونس حتى عام 1881 ، واما

المحور الثاني فقد تضمن الاحتلال الفرنسي لتونس عام 1881 والذي تطرق فيه البحث حول العمليات العسكرية لاحتلال تونس في حين تناول المحور الثالث موقف بريطانيا من العمليات العسكرية الفرنسية في تونس ، وتناول المحور الرابع : سياسة بريطانيا تجاه الحماية الفرنسية على تونس 1885 -1904 ، فضلا عن الخاتمة التي تضمنت بإيجاز ابرز النتائج التي توصل اليها البحث .

اولاً : سياسة بريطانيا تجاه تونس حتى عام 1881.

شهد حوض البحر المتوسط صراعا بين القوى الكبرى بعد فتح قناة السويس امام الملاحة الدولية عام 1869 وهو ما دفع الدول الاستعمارية محاولة السيطرة على هذا الممر البحري ، وهو ما اثار مخاوف بريطانيا من سيطرة أي دولة عليه وتهديد طريق تجارتها نحو مستعمراتها في الهند ، فسعت جاهدة الى فرض سيطرتها على حوض البحر المتوسط وان تكون القوة الوحيدة المهيمنة عليه (روجرز ، 1980 ، ص127) ، ومنذ وصول الليبراليين الى الحكم في بريطانيا منتصف القرن التاسع عشر كانت قد شهدت بريطانيا تغيرات في أوضاعها السياسية الداخلية قد القت بظلالها على سياستها الخارجية ولاسيما في منطقة حوض البحر المتوسط ، اذ دبت الخلافات ما بين بريطانيا وفرنسا منذ عام 1876 (Maur0is, 1904, p476-478)، فقد كانت بريطانيا قد تبنت استراتيجية تجاه تونس عرفت آنذاك المحافظة على الوضع الراهن من دون التدخل المباشر في شؤونها الداخلية وفي الوقت نفسه كانت تقف بوجه أي قوة تحاول السيطرة على تونس وتهدد نفوذها في حوض البحر المتوسط والتعامل معها على انهاء ولاية عثمانية ، وفي السياق ذاته فقد كانت بريطانيا تدعم أي محاولة للدولة العثمانية من اجل فرض سيطرتها على ولاياتها في شمال افريقيا Baumont (1949,p12,)، وفي اطار التحالف البريطاني العثماني فقد رفضت التعامل مع والي تونس الباي محمد الصادق[1] بشكل مستقل ، ورفضت استقبال الوفود الرسمية التونسية وعقد أي اتفاق الا من خلال السفير العثماني في لندن (روجرز ، 1980، ص132) .

اثارت سياسة بريطانيا تجاه تونس استياء كبير لدى المسؤولين التونسيين والباي محمد الصادق وكانت السبب وراء الغاء الأخير زيارته الى بريطانيا التي كانت مقرره في صيف عام 1864 بسبب إصرار

([1]) محمد الصادق الباي : هو محمد الصادق بن حسين باي تونس الثاني عشر من الاسرة الحسينية ، ولد في 7 شباط 1813 ، ارتقى عرش تونس في عام 1850 ، كان عقد النية على الإصلاح ومباشرة الأمور بنفسه لولا شدة ميله لبعض المقربين ممن لا خبرة لهم في شؤون الحكم الذين وقفوا حجر عثرة في طريق الإصلاح في عهده إذ امتدت الأيادي إلى أموال الدولة بحق أو غيره وحدثت في تلك المدة العديد من الثورات لبعض القبائل التونسية ، وقام محمد الصادق بتوقيع معاهدة باردو مع الجانب الفرنسي في 12 أيار 1881 بعد حملة عسكرية كبيرة قامت بها فرنسا ضد بلاده ، توفي في 29 تشرين الأول 1882 . للمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الوهاب ، 1976 ، ص 10.

الحكومة البريطانية على استقباله كوالي من ولاة الدولة العثمانية وبحضور السفير العثماني في لندن (Baumont , p,12 , 1949) ، وهو ما أكده احمد بن ابي الضياف بالقول : **((في هذه الأيام تحقق ان دولة الإنكليز لا تقبله للمرة الأولى ، الا بحضور رسول الدولة العلية في لندن جريا على ما اقتضى عادتها))** (بن ابي الضياف ، 1985 ، ص141)، واستمر الرفض البريطاني على التعامل مع الباي محمد الصادق بصفة مستقلة عن الدولة العثمانية وعدم اعترافها باستقلالهم عنها ، اذ تكرر موقفها مرة أخرى عندما رفضت تخصيص جناح خاص لتونس في معرض لندن الدولي بصفة ولاية مستقلة عن الدولة العثمانية وأصرت ان تكون مشاركتها بصفتها ولاية عثمانية في الجناح الخاص للدولة العثمانية وتحت رايتها(موسى ، 1997 ، ص132) ،

كان الموقف البريطاني المتصلب تجاه حكام تونس اثره في زيادة نفوذ فرنسا فيها ، اذ كانت فرنسا قد اتبعت اسلوباً مغايرا ومختلفا تماماً عن الطريقة التي كانت قد تعاملت بها بريطانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فقد تعاملت الحكومة الفرنسية مع تونس كدولة مستقلة لا على أساس انها ولاية تابعة للدولة العثمانية (رمزي ، (د.ت) ، ص142) ، اظهرت ذلك فرنسا علناً عندما قام نابليون الثالث[2] (Napoléon III) (1852- 1870) ، باستقبال محمد الصادق باي بالعاصمة الفرنسية باريس في أيلول 1890 بدون حضور سفير الدولة العثمانية ، وهو ما اثار غضب واستياء لدى السلطات العثمانية وتقديمها برقية احتجاج الى وزارة الخارجية الفرنسية وعدت مثل تلك التصرفات من نابليون الثالث امراً مرفوضاً وتحريضاً منه للولايات العثمانية للانفصال عنها ، وهو ما كانت بريطانيا ترفضه وتقف بالضد من أي مشروع انفصال عنها ، وانها كانت تسعى جاهدة الى المحافظة على الوضع الراهن والتي استمرت تعمل بها حتى مطلع القرن العشرين ، وفي الوقت نفسه فقد جعلت تلك السياسة التي اتبعتها فرنسا في التعامل مع الولايات العثمانية في شمال افريقيا الدولة العثمانية الى التقرب من بريطانيا اكثر من فرنسا(التيمومي ، 1999 ، ص112).

([2]) نابليون الثالث : تشارلز لويس نابليون بونابارت ولد في باريس في 20 نيسان 1808 وهو ابن لويس بونابرت ، ملك هولندا وأخو نابليون الأول ، وقضى شبابه في إيطاليا وألمانيا وسويسرا ، ارتبط بمجموعات ثورية أمثال الكَربُونَاري في إيطاليا ، حاول الإطاحة بحكومة لويس فيليب الملكية عام 1836 في ستراسبورج، وعاود محاولته في بولونيا عام 1840، سجن في حصن اسمه هام عقب المحاولة الفاشلة عام1840م. لكنه فر إلى إنجلترا عام 1846 وكتب هناك الأفكار النابليونية 1839، عاد الى فرنسا عقب ثورات عام 1748 وانتخب رئيسا للبلاد عام 1851 ، ومن ثم امبراطور باسم نابليون الثالث عام 1852 ، دخل في حرب عام 1870 مع المانيا وخسرت بلاده في نهايتها خاسرة لمقطعات الالزاس واللورين الغنية بالفحم ومناطق غرب نهر الراين من العام نفسه ، توفي 4 أيلول عام 1870 . للمزيد من التفاصيل ينظر : Thompson, 1965.

يتضح مما تقدم بان سياسة بريطانيا تجاه تونس قد فتحت الباب امام فرنسا الى ترسيخ اقدامها في تونس ولاسيما بعد احتلالها للجزائر ومحاولاتها مد نفوذها الاستعماري في شمال افريقيا ، ولاسيما بعد ان تأكد لها عدم رغبة بريطانيا احتلال أي منطقة في شمال افريقيا ، وانها كانت تسع جاهدة الى المحافظة على الوضع الراهن وابعاد نفوذ أي دولة تحاول انشاء مستعمرة لها في اي منطقة تطل على حوض البحر المتوسط الذي كانت تسعى جاهدة الى ابعاده عن المنافسة الدولية وتهديد طريقها الى الهند ومستعمراتها في المشرق العربي .

ثانياً : الاحتلال الفرنسي لتونس 1881 .

وضعت فرنسا ايالة تونس في حساباتها العسكرية منذ احتلالها للجزائر في ثلاثينات القرن التاسع عشر ، وبدأت تتحين الفرص وتثير القلائل من اجل افتعال الذراع التي تمنحها شرعية احتلال تونس ، ولاسيما ان الأراضي الصحراوية التي كانت تفصل ما بين البلدين كثيراً ما كانت تشكل هاجساً مخيفاً لقواتها العسكرية المنتشرة على الأراضي الجزائرية (الشاطر ، 2005 ، ص22) ، وذلك بعد الكشف عن تقارير استخبارية فرنسية تفيد بان هناك مجموعات مسلحة خارجة عن القانون بحسب وصفها تتدفق من وراء الحدود ، وتقوم بشن هجمات بين الحين والآخر على المعسكرات التابعة للجيش الفرنسي في مناطق الحدود التونسية الجزائرية ، كما تقوم بتنظيم نفسها مع الجماعات المسلحة المحلية والمشاركة بتنفيذ هجمات مسلحة ضد القوات الفرنسية داخل الأراضي الجزائرية (الجبوري ، 2024 ، ص29) .

وضعت السلطات الفرنسية في باريس ما ورد في التقارير الاستخبارية الواردة من تونس موضع اهتمام وجعلتها على محمل الجد ، معلنة بانها لابد من حسم الملف التونسي متخذة قرارا يقضي باحتلالها من اجل تامين قواتها في الجزائر التي كانت تتعرض للهجمات من المقاومين الجزائريين ، ومن انضم لهم من ابناء القبائل التونسية (الشريف ، 1991 ، ص48)، ولاسيما تلك التي كانت تسكن مناطق الحدود ، وعملوا في مجال الزراعة وعمليات تهريب الأسلحة عبر الحدود بين البلدين ، وقد روج القنصل الفرنسي في تونس ثيودور روستان[3] (Théodore Roustan) لعملية الاحتلال تلك بعد تسوية الأمور والقضايا العالقة مع

([3]) ثيودور روستان : صحفي وكاتب سياسي ورجل دولة فرنسي ولد في احد ضواحي مدينة كاوناس احد ضواحي العاصمة الفرنسية باريس في 26 شباط 1856 ، اكمل دراسته الأولية فيها والثانوية فيها ، التحق بكلية التاريخ في جامعة موسكو الحكومية ، وخلال مدة دراسته فيها شغل اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي ، بعد عودته الى فرنسا عمل في السلك الدبلوماسي اذ عمل سفير لبلاده في مسكو عاصمة الإمبراطورية الروسية القيصرية حتى عام 1879 ، ثم انتقل الى ليمثل قنصل لبلاده في تونس وقد مهد لاحتلال تونس ، وبعد فرض الحماية الفرنسية على تونس شغل منصب مقيم عام

وإيطاليا مقابل اطلاق يدها في ليبيا وتنازل الأخيرة عن مصالحها في تونس ، وعدم رغبة بريطانيا في زج قواتها العسكرية في قتال القوات الفرنسية في تونس (رمزي ، د ت ، ص162) .

بدأت السلطات الفرنسية عمليات الاعداد لاحتلال تونس في 14 اذار 1881 متذرعة بحجة تعرض أبناء الجالية الفرنسية في تونس الى المضايقة من السلطات المحلية ، بعد رفع عرائض الى الحكومة الفرنسية في باريس تطالبها التدخل لحمايتها وحماية ممتلكاتها واموالها في تونس ، ومن جهة أخرى كانت فرنسا قد وضعت قواتها على أُهْبَة الاستعداد من اجل الشروع بالتدخل العسكري المباشر واحتلال البلاد(الأستاذ ، العدد 214 ، 2015 ، ص256) ، واعطت اوامرها لقواتها المرابطة على الحدود الجزائرية التونسية الى اجتياز الحدود والتوغل الى داخل الأراضي التونسية التي انطلقت بشكل فعلي بعد شهر واحد في 14 نيسان من العام نفسه اذ شرعت باحتلال تونس من محاور عديدة بقيادة الجنرال فور جيمول ، والذي توغل سريعاً داخل البلاد ، على الرغم من المقاومة العنيفة التي واجهتها قواته العسكرية المحتلة (زيادة ، 1963 ، ص112) ، الا انها لم تتمكن من إيقاف زحف القوات الفرنسية المحتلة ، بسبب عدم التكافؤ فيما بينها وبين الأخيرة من جهة ، وعدم تلقيها الدعم من السلطات المحلية والسلطات العثمانية من جهة أخرى ، التي لم تقدم أي دعم للمقاومين لصد الهجوم الفرنسي الواسع الذي شنته القوات الفرنسية مستهدفة احتلال البلاد (الشريف ، 1991، ص52).

واصلت القوات الفرنسية المحتلة توغلها سريعاً واحتلال المدن التونسية التي سقطت سريعاً معلنة استسلامها للقوات الفرنسية المحتلة ، على الرغم من المقاومة التي كانت قد تلقتها القوات الفرنسية المحتلة في بعض المناطق التونسية والتي شكلتها فصائل من السكان المحليين للتصدي للقوات الفرنسية المحتلة (رمزي ، دت ، ص168)، الا انها لم تكن في المستوى المطلوب الذي يمكنها من إيقاف تقدم القوات الفرنسية المحتلة ، وعلى الرغم من ضعف امكانيتها فأنها كانت مصرة على مواصلة مقاومتها(الحمداني ، 2006 ، ص29) ، وهو ما اجبر القوات الفرنسية الى فتح جبهة جديدة في 25 نيسان 1881 من الجهة البحرية بقيادة الجنرال جول إيمي بريار[4] (Jules Aimee Briar) ، مستهدفه احتلال مدينة طبرقة الساحلية واتخاذها قاعدة بحرية للقوات الفرنسية ، التي تمكنت من احتلالها في غضون يومين بعد انسحاب الحامية العسكرية العثمانية التي كانت مرابطة فيها ، تاركة السكان المحليين في مواجهة مصيرهم لوحدهم ، فقامت القوات المهاجمة باتباع

لبلاده فيها والذي أسندت له الإدارة المدنية والعسكرية فيها ، ثم انتقل بعدها للعمل كمقيم عام لبلاده في العديد من بلدان شمال افريقيا ، توفي في 30 اب 1953 . للمزيد من التفاصيل ينظر : F. A., 1968, p . 72–76.

([4]) جول إيمي بريار : قائد فرنسي برتبة جنرال ، قاد الجيش الفرنسي الذي احتل مدينة بنزرت وطبرقة ، فضلا عن محاصرته الباي في القصر السعيد وإجباره مع القنصل الفرنسي روستان على توقيع معاهدة باردو . للمزيد من التفاصيل ينظر : الجبوري ، 2024، ص31 .

ابشع الأساليب الوحشية ضد سكان المدينة بهدف اخضاعهم وارغامهم على القبول بالاحتلال وعدم مواجهتها(Roland , 1977 , p 101 – 102).

كثف الاسطول الفرنسي الذي كان مرابطا على السواحل التونسية ضرباته على المدن الساحلية التونسية من اجل احكام السيطرة عليها سريعاً وعزلها بحرياً عن العالم وقطع خطوط الامدادات العسكرية مع الدولة العثمانية محاولة ابعاد انظار الاسطول البريطاني الذي كان يجوب حوض البحر المتوسط لتامين طريق مواصلات السفن التجارية والحربية البريطانية الى الهند ومناطق الخليج العربي(الشريف ، المصدر السابق ، ص175) ، فتوجهت بعد ان اكملت السيطرة على مدينة طبرقة والتوجه صوب مدينة بنزرت الساحلية ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية ، اذ شرعت بالتقدم نحوها واحتلالها في 30 نيسان 1881 بعد وصول تعزيزات عسكرية فرنسية على مرحلتين الأولى كانت قادمة من مدينة مارسليا في يوم 4 أيار من العام نفسه والثانية من مدينة طالون الفرنسية في السادس من الشهر نفسه الى سواحل مدينة بنزرت ، وهو ما عزز موقف القوات الفرنسية المحتلة واحتلال المدينة في يوم 8 أيار من عام 1881 (الجمل ، 1997 ، ص307)، وتقدمت بعدها نحو مدينة تونس العاصمة التي دخلتها من منطقة الحديدة في التاسع من أيار من العام نفسه ، ومن ثم واصلت زحفها نحو مدينة سيدي ثابت غرب العاصمة تونس ، وبعد إتمام سيطرتها على تلك المناطق توجهت القوات الفرنسية المحتلة نحو مدينة باردو ومحاصرتها ، التي كانت تتواجد فيها مقر الحكومة التونسية وقصر السعيد الذي كان مقراً للباي في 11 أيار 1881(الحمداني ، 2006، ص32) .

قامت القوات الفرنسية الغازية بمحاصرة مدينة باردو وتوجيه انذار الى الباي محمد الصادق بعد اللقاء الذي جمع القنصل الفرنسي وقائد الحملة الفرنسية على مشارف المدينة في 12 أيار 1881، وتسليمه انذارا شديد اللهجة مطالبة منه الاستسلام الفوري والقبول بالاحتلال ، كما تضمن الإنذار نسخة إضافية ملحقة تضمن نص معاهدة الحماية الفرنسية على تونس(زيادة ، 1963، ص118) ، وامهلته مدة أربعة وعشرين ساعة للرد اما القبول او الرفض محذرة من عواقب رفضها ، اما في حالة قبوله فانه سوف يحظى بحماية القوات الفرنسية المحتلة التي تعهدت بالحفاظ على حياته وحياة اسرته وحاشيته وضمان سلامة ممتلكاتهم(رمزي ، د ت، ص172) .

ثالثاً : موقف بريطانيا من العمليات العسكرية الفرنسية في تونس .

أبدت الحكومة البريطانية امتعاضها حيال ما قامت به فرنسا من احتلالها للأراضي التونسية ، اذ ابلغ السفير البريطاني لدى فرنسا السر ليون (secret Leon) في رسالة سلمها الى وزير الخارجية الفرنسية في 7 أيار 1881 سانت هيلاري (Saint Hilary) جاء فيها : **((ان بريطانيا سوف لن تعترف باي معاهدة او إجراءات جديدة بتوني تتناقض مع مصالحها))** (Baumont, 1949 , p,18) ، وعلى الرغم من وضوح موقف بريطانيا من الاحتلال الفرنسي لتونس الا ان فرنسا واصلت عملياتها العسكرية في تونس والاستيلاء على ما تبقى من الأراضي التونسية من اجل فرض سياسة الامر الواقع (الجمل ، 2007 ، ص84) ، ولاسيما بعد توقيعها معاهدة الحماية من دون ابلاغ بريطانيا بتفاصيلها ، وهو ما شكل السبب الرئيس في الرفض البريطاني لاحتلال تونس ، والسبب ذاته الذي كانت السلطات العثمانية متمسكة به من اجل الكشف عن مدى التزام بريطانيا بتعهداتها السابقة لها ، وهو ما نصت عليه مقررات مؤتمر برلين[5] ، الذي تعهدت فيه بالمحافظة على أملاك الدولة العثمانية(رمزي ، د ت ، ص153.) .

كان هدف بريطانيا من وراء ذلك الموقف المتشددة من الاحتلال الفرنسي لتونس وإعلان نظام الحماية الفرنسية عليها ، هو اجبار الأخيرة على تقديم تنازلات عديدة اليها وضمان المصالح البريطانية في حوض البحر المتوسط ، وقد أعربت الحكومة البريطانية عن موقفها صراحة من خلال التصريح الذي ادلى به سفيرها لدى فرنسا في 20 أيار 1881 بالقول : **((ان حكومة جلالة الملك تنقصها الصراحة بان صنيع فرنسا بتونس اثار ردود فعل إيجابية))** (الخامس ، 1991 ، ص431) ، ومن خلال النص أعلاه يتبين لنا بان فرض معاهدة الحماية على تونس قد وضع الحكومة البريطانية في موقف محرج ، وهو ما جعلها مسألة فرض نظام الحماية على تونس امراً مرفوضاً وبلغت الحكومة الفرنسية بانها خرق لما جاء في مقررات مؤتمر برلين (رمزي ، د ت، ص178).

كان الاحتلال الفرنسي لتونس وفرض نظام الحماية عليها قد جعل الحكومة البريطانية التي شكلها الليبراليين في موقف محرج للغاية ، ولاسيما للدولة العثمانية التي لم تكن لديها الرغبة الى الدخول في حرب معها وانها كانت تسعى جاهدة من اجل إبقاء علاقتها مع الأخيرة على وضعها الطبيعي لأنها كانت تعد العدة

([5]) مؤتمر برلين : اجتماع عقده ممثّلون عن القوى العظمى الست في تلك المدة في مدينة برلين الألمانية في 13 تموز 1878 (روسيا وبريطانيا العظمى وفرنسا والإمبراطورية النمساوية المجرية وإيطاليا وألمانيا) والإمبراطورية العثمانية وأربع دول من البلقان (اليونان وصربيا ورومانيا والجبل الأسود) ، كان الهدف من المؤتمر رسم حدود أراضي الدول في شبه جزيرة البلقان في أعقاب الحرب الروسية العثمانية بين عامي 1877 و1878 وانتهت بتوقيع معاهدة برلين التي حلّت محلّ معاهدة سان ستيفانو الأولية والتي جرى توقيعها قبل ثلاثة أشهر بين روسيا والإمبراطورية العثمانية . للمزيد من التفاصيل ينظر : صفوت ، 2019.

من اجل السيطرة على مصر وضمان عدم معارضة السلطات العثمانية لذلك (كوبي ، 1990 ، ص137) ، اذ رفضت الحكومة البريطانية ما جاء في نص المادة السادسة من معاهدة الحماية الفرنسية على تونس والتي أعطت الحق لفرنسا إدارة ملف السياسة الخارجية لتونس للمسؤولين الفرنسيين ، والتي جاء فيها : **((يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقناصل لفرنسا حماية رعايا الملكة التونسية))** (Arthar,1971,p257) ويتضح من خلال ما ورد في النص أعلاه بانه اعطى حق التمثيل الخارجي لتونس بيد السفراء والقناصل الفرنسيين ، وهو ما اثار حفيظة المسؤولين البريطانيين ولاسيما ان تونس لم تكن تتملك أي تمثيل دبلوماسي خارجي وان الدولة العثمانية هي من كانت تتولى تنظيم الأمور الخارجية .

كثفت الدولة العثمانية من اتصالاتها بالمسؤولين البريطانيين من اجل إيصال فكرة مفادها بانها هي الوحيدة التي تمثل تونس في المحافل الدولية وان الأخيرة ليست لها أي صفة شرعية مستقلة عن الدولة العثمانية ، وانها لا تزال ولاية من ولايات الدولة العثمانية(الخامس ، 1991، ص452) ، وفي الوقت نفسه فقد اكدت الحكومة البريطانية بانها لا تتعامل مع تونس بشكل مستقل ولا حتى عن طريق المسؤولين الفرنسيين (الجمل ، 1997، ص86.) ، وهو ما أكده وزير الخارجية البريطاني جاور ايرل جرانفيل الثاني (Earl Granville 2nd) (F A,1986 , . 261) في مذكره سلمها الى سفير الدولة العثمانية لدى بلاده في 15 حزيران 1881 والتي جاء فيها : **((اذا ارادت بريطانيا المحافظة على معاهداتها مع الولاية فان قناصلها سيتوجه بكل القضايا الى الوالي دون وساطة قنصل فرنسا))** (نشانجي ، 1973 ، ص136) ، كما اكدت بريطانيا بانها لا يمكنها التعامل مع تونس عن طريق المسؤولين العثمانيين وظلت بريطانيا ترفض الاعتراف بنظام الحماية الفرنسية على تونس حتى قيام الغاء الجانب الفرنسي للمحاكم القنصلية التي شكلتها في تونس عام 1884 (الشناوي ، 1969 ، ص47) ، وفي الوقت نفسه فقد اكدت الحكومة البريطانية بانها لا يمكنها التعامل مع المسؤولين التونسيين بشكل مستقل ولا حتى عن طريق المسؤولين الفرنسيين(الخامس ، 1991، ص458).

رابعاً : سياسة بريطانيا تجاه الحماية الفرنسية على تونس 1885 -1904 .

كانت بريطانيا حريصة على وضع العراقيل امام فرنسا في محاولاتها من اجل بناء قواعد عسكرية لها في تونس ولاسيما في المناطق الساحلية بالقرب من سواحلها المطلة على البحر المتوسط ، اذ كانت بريطانيا ترفض سيطرة أي دولة غيرها على السواحل المطلة على البحر المتوسط وتهدد طريق سفنها التجارية والعسكرية عبر ذلك الممر البحري (الشناوي ، 1969، ص49) ، فقد واجة المشروع الفرنسي في تحويل ميناء بنزرت عام 1885 الى ميناء عسكري فرنسي معارضة ورفضا شديدا من الحكومة البريطانية التي اكدت بحقها في رسو سفنها التجارية والعسكرية في ذلك الميناء من دون دفع أي رسوم او ضرائب ، ومع المعارضة

البريطانية لذلك المشروع سارع الجناب الفرنسي على تأكيده بان الأخيرة ليس لها النية في تحويل نشاط الميناء الى أغراض عسكرية ، وهو ما جاء على لسان وزير الخارجية الفرنسي بارتلمي سانت هيلار[6] (نشايجي ، 1973، ص138) (Barthélemy-Saint-Hilaire) ، في تصريح له قال فيه : **((عدم وجود أي فكرة او نوايا لدى فرنسا لألحاق أي ميناء تونسي بفرنسا .. وانه ليس لدى حكومة فرنسا نوايا لبناء ميناء عسكري لان ذلك يتطلب اموالاً ضخمة))** (Paul ,1994, p. 43) ، وعلى ما يبدو من خلال النص أعلاه بان الحكومة الفرنسية كانت تتجنب الاصطدام مع بريطانيا خلال تلك المدة ، كونها كانت تحاول حسم الجناب البريطاني الذي كان على الدوام يحاول المحافظة على أملاك الدولة العثمانية وابعاد أي قوة اوربية عن حوض البحر المتوسط من دون التدخل عسكرياً .

شهد الموقف البريطاني تغيراً جذرياً عن موقفها من توسيع ميناء بنزرت واستخدامه من فرنسا لأغراض عسكرية ولاسيما مع وصول المحافظين الى الحكم في بريطانيا برئاسة الورد سالسبوري[7] (Lord Salisbury) وبروز النوايا البريطانية حيال المشاريع الفرنسية في حوض البحر المتوسط ، وفي الوقت نفسه كانت تراقب التحركات الفرنسية في تونس بحذر ولاسيما بعد قيام الأخيرة بتوقيع معاهدة ما باي تونس محمد الصادق في 29 تشرين الثاني 1888 ، التي تضمنت قيام فرنسا بأجراء عمليات صيانة على ميناء بنزرت واقرار مساهمة فرنسا ماليا في الميناء ، وعلى الرغم من عدم اظهار الجانب البريطاني أي اعتراض على المعاهدة الا انها لم تطبق فعلياً حتى دخول شركة فرنسية وقيامها بأعمال توسيع الميناء في 17 شباط 1890 (Stanford, 1977 , p.192).

على الرغم من عدم اعتراض بريطانيا على توسعة ميناء بنزرت من لدن فرنسا وتحويل نشاطه من الاقتصادي الى العسكري في بداية الامر ، الا انها ومع مباشرة الشركة الفرنسية اعمالها في الميناء المذكور

([6]) برتلمي سنت هيلار : فيلسوف وسياسي و صحفي، و مستشرق فرنسي ، ولد في مدينة باريس في 19 اب 1805 ،شغل مناصب عديدة في فرنسا ، منها عضوية أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية الفرنسية، والجمعية الهيلينية الفلسفية في القسطنطينية ، ومدير الكوليج دو فرانس للمدة 1849–1852 ، ووزير الشؤون الخارجية للمدة 1880 –1889 ، توفي في 24 تشرين الثاني 1895 ودفن في مقبرة بير لاشيز عن عمر ناهز التسعين عاما . للمزيد ينظر : هيلار ، 2024 ،

([7]) سالسبوري : سياسي ورجل دولة بريطاني من حزب المحافظين ، شغل عضوية مجلس العموم البريطاني في عام 1854 ، تولا في اثناء حياته العملية العديد من المناصب المهمة في بلاده ، فقد شغل منصب وزير الدولة لشؤون الهند في مرتين الأولى في المدة 1866–1867 ، والثانية في المدة 1874–1878 ، اسهم في إدارة سياسة بريطانيا الخارجية الجديدة في اثناء مؤتمر برلين عام 1878 ، تولى رئاسة الوزراء لبريطانيا ثلاث مرات الأولى كانت في المدة 1884–1886 ، والثانية 1886–1892 والثالثة 1895–1902. للمزيد ينظر : Robert, 1993

أبدت الحكومة البريطانية آنذاك تحفظها على توسيع نشاط الميناء الى الأغراض العسكرية الى جانب الأغراض الاقتصادية (Oliver ,1992 , p. 104) ، وهو ما جاء في رسالة رئيس الحكومة البريطانية سالسبوري الى الباب العالي في إسطنبول والتي ذكر فيها : **((ان فرنسا هي الان بصدد القيام بمشاريع ضخمة من اجل بناء ميناء كما هو معلن لكن عملياً الهدف هو بناء ميناء عسكري وذلك يشكل خطراً على المتروبول ومصر .. وان هذه الاشغال حاليا تنجز بدون صحيح لأنها اعتمدت على الميزانية التونسية ولم تكن حاجة لموافقة البرلمان الفرنسي او مجلس الشيوخ للحصول على التمويل .. ان هذا المشروع يشكل خطراً كبيراً على التوازن بالمتوسط))** (Tukumbil,1999 , p. 21) ومن خلال النص أعلاه يبدو ان الجناب البريطاني كان معترضاً على مشروع توسيع ميناء بنزرت يعود لأسباب اقتصادية تتعلق بمسالة تمويل المشروع كون فرنسا قامت بأعمال التوسيع معتمدة على أموال تونس وهو ما سيجعلها في نظر الحكومة البريطانية مهيمنة على أموال الخزينة التونسية وفي الوقت نفسه سوف تهدد الوجود البريطاني في حوض البحر المتوسط من خلال سيطرتها على الموانئ المطلة على هذا الممر المائي الحيوي بالنسبة لبريطانيا.

كانت فرنسا في بداية مباشرتها تنفيذ اعمالها في توسيع ميناء بنزرت أعلنت بان اعملها لغرض توسيع الميناء لأغراض تجارية وليس تحويل نشاطه الى العسكري في محاولة منها عدم اثارة الجانب البريطاني وعدم معارضته ، الا ان الأخيرة كانت متيقنة لمحاولات فرنسا الدخول كقوة منافسه لها في حوض البحر المتوسط ، لان طبيعة مدينة بنزرت وقلة الكثافة العددية لسكانها قليل جداً لا يتناسب مع اعمال التوسعة التي كانت تنوي القيام بها فرنسا في مينائها (الجمل ، 2007، ص124) ، وهو ما اثار حفيظة بريطانيا وأدى الى تعرض العلاقات الفرنسية الى التوتر ولاسيما فيما يتعلق بتونس واهمية موانئها بالنسبة لبريطانيا التي كانت تحاول ابعاد أي قوة أخرى من السيطرة عليها حفاظاً سلامة طريق سفنها التجارية والعسكرية التي كانت تمر عبر البحر المتوسط بالقرب من تلك الموانئ (الشناوي ، 1969، ص47) ، ومما زاد التخوف البريطاني هو عن نية فرنسا السماح لسفن روسية الرسو في موانئ تونس لتزود بالقود والراحة ، وهو ما عدته بريطانيا تهديداً لمصالحها في حوض البحر المتوسط في حال دخول أي قوة اوربية أخرى فيه(نشايجي ، 1973، ص139) ، وظلت عمليات التوسع الفرنسي في تونس معطلة حتى حصول توافق مبدئي بين فرنسا وبريطانيا على اثر توقيع اتفاقية الوفاق الودي[8] بينهما عام 1904 والتي انهت حالة الصراع البريطاني الفرنسي في حوض البحر المتوسط وباقي مناطق العالم(الجمل ، 2007، ص126) .

([8]) لاتفاق الودّي : تسمية اطلقت على مجموعة من الاتفاقيات التي وقّعتها كل من بريطانيا العظمى وفرنسا في 8 نيسان 1904م بعد تسوية عدد من النزاعات الاستعمارية التي كانت محل خلاف بينهما، وعد توقيعه نهاية لصراعات متقطعة استمرت قرابة 1000 عام بين الدولتين وما سلفهما من ممالك تاريخياً، واستبدل حالة التسوية المؤقتة بين البلدين منذ

الخاتمة

في نهاية البحث في موضوع موقف بريطانيا من الاحتلال الفرنسي لتونس 1881–1904 توصل البحث الى عدد من النتائج يمكن ايجازها على النحو التالي :

اولاً : كانت السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر قد امتاز بالتذبذب ولاسيما في ما يخص الولايات العثمانية في شمال افريقيا وتعد مناطق ساحلية لحوض البحر المتوسط ، فقد كانت تسعى جاهدة الى عدم سيطرة أي قوة اوربية عليها وكانت تسعى جاهدة الى بقاء البحر المتوسط بحيرة بريطانية .

ثانياً : لم تكن لدى بريطانيا الرغبة في التدخل عسكرياً واحتلال أي ولاية عثمانية في شمال افريقيا وانما كانت مكتفية بتكثيف نفوذها الاقتصادي والعسكري فيها ، والمحافظة على الأوضاع التي كانت قائمة هناك وبقائها على حالها وتسجيل تفوقها على باقي الدول الاوربية في شمال افريقيا .

ثالثاً : كانت المصالح الاقتصادية العسكرية البريطانية قد وضعتها في مواقف محرجة امام الدولة العثمانية التي كانت تدافع عن وحدة وسلامة أراضيها طول القرن التاسع عشر مما جعلها في نهاية المطاف الى التخلي عن بعض أجزاء من الولايات العثمانية في شمال افريقية الى فرنسا وإيطاليا واسبانيا مقابل ضمان مصالحها هناك وتامين طريق سفنها التجارية والعسكرية التي تمر عبر البحر المتوسط .

رابعاً : كان الصراع البريطاني الفرنسي في تونس قد اخذ في بدايته صراعا على المصالح الاقتصادية ، الا انه تحول الى اثارة مخاوف بريطانيا من سيطرة فرنسا على حوض البحر المتوسط بعد احتلالها للجزائر ومن ثم التوسع نحو تونس وهو ما عدته بريطانيا تهديداً لسلامة سفنها التجارية والعسكرية التي كانت تمر من خلاله .

خامساً : على الرغم من عدم اعتراض بريطانيا على الاحتلال الفرنسي لتونس وفرض نظام الحماية الفرنسية عليها في بداية الامر الا انها ظلت تراقب بحذر شديد الاطماع الفرنسية التوسعية في تونس وكانت تقف بالمرصاد لاي اعمال فرنسية تراها مؤثرة على مصالحها هناك .

نهاية الحروب النابليونية عام 1815 ، ويُعزا نجاح المفاوضات حول هذا الاتفاق إلى كلٍ من بول كامبون السفير الفرنسي في لندن وسكرتير الخارجية والكومنولث اللورد لانسداون ، وفي عام 1907م انضمت روسيا إلى هذا الحلف فأصبح يُعرف بالحلف الثلاثي. للمزيد ينظر : A.J.P , 1954, p.408.

;Sources ;

1. J. Rogers, A History of Anglo-Moroccan Relations to the Year 1900, translated by: Yaznan Labib Rizq, Dar Al Thaqafa, Casablanca, 1980

2. Maur0is Ander , Histoire de l,Angleterre , Libraires Arthene fayand , Paris ,1904

3. Baumont M ,L,essor industriel et limperialisme ,Presses Universitaires De France , Paris ,1949

4. Ahmed bin Abi Al-Dhiaf, A Gift to the People of the Time with the News of Tunisia and the Era of Security, Chapter Five, Tunisian House for Publishing, Tunis, 1985

5. Hassan Hosni Abdel Wahab, Summary of the History of Tunisia, Tunis, Dar Al-Kutub Al-Arabiya, 3rd ed., 1976

6. Faisal Muhammad Musa, A Brief History of Modern and Contemporary Africa, Open University Press, Benghazi, Libya, 1997

7. Ahmed Ramzi, French Colonialism in North Africa, Al-Namuthajiyah Press, Lebanon, (n.d.)

8. Thompson, J.M. Louis Napoleon and the Second Empire. Oxford: Basil Blackwell, 1965

9. Al-Hadi Al-Timoumi, Capitalist Colonialism and Pre-Capitalist Social Formations: The Five Toilers in the Tunisian Countryside (1861-1943), Sfax, Dar Muhammad Ali for Publishing and Distribution, 1999

10.Khalifa Al-Shater and others, History of Tunisia, the National Movement and the State of Independence, Center for Economic and Social Studies and Research, Tunis, 2005, Vol. 3

11.Muhammad Najm Abdullah Al-Jabouri, Libyan Immigrants and Their Political, Economic and Social Impacts in Tunisia (1881-1911), Master's Thesis (unpublished), College of Education for Humanities, Tikrit University, 2024.

12. Al-Bashir bin Al-Hajj Othman Al-Sharif, Lights on the Modern History of Tunisia 1881-1924, Abu Salama House for Printing, Publishing and Distribution, Tunis, 1991

13. Bibliographisches Institut & F. A. Brockhaus; Wissen Media , Verlag (eds.), Brockhaus Enzyklopädie| Edmond Rostand , 1968

14.Jumaa Aliwi Farhan Al-Khafaji and Wissam Hadi Akkar Azim, French Policy Towards Tunisia 1881-1914, Al-Ustadh Magazine, Volume 1, Issue 214, 2015

15. Nabqula Ziadeh, Tunisia during the Protectorate 1881-1934, Institute of Arab and World Studies, Cairo, 1963

16. Nihayat Muhammad Salih al-Hamdani, The Tunisian National Movement 1881-1920, MA thesis (unpublished), College of Arts, University of Mosul, 2006

17. Roland Oliver , Anthony Atmore , Africa since 1800 , Third edition , London , 1977

18. Shawqi Atallah Al-Jamal, The Greater Maghreb (From the Islamic Conquest to the Present), Libya, Tunisia, Algeria, Morocco, Egyptian Office for the Distribution of Publications, Cairo, 1997

19. Abdul Majeed Al-Jamal, Great Britain and the Maghreb 1881-1939, PhD thesis (unpublished), Faculty of Letters, Arts and Humanities, University of Tunis I, 2007

20. Muhammad Mustafa Safwat, The Berlin Conference of 1878 and its Impact on the Arab Countries, History Library, 2019 .

21. Muhammad Bayram Al-Khamis, The Tunisian Country in the Elite of Consideration in the Repository of Countries and Regions, edited by Ali Al-Sharfi and Abdul Hamid Mansour, Bayt Al-Hikma, Tunis, 1991

22.Koby Jacques, French Imperialism and the Arab States in the Ottoman Empire 1840-1914, translated by: Fares Ghadoub, Al-Farabi House, Beirut, Lebanon, 1990 .

23.Arthar Marsden , British Diplomacy and Tunis 1875-1902 , A case Study In Mediterranean Policy . Scotish academic. Press Edinbursh and London , 1971.

24. American Leviathan: Empire, Nation and the Revolutionary Frontier. Griffin, Patrick. Hill and Wang A division of Farrar, Straus and Giroux. New York, NY. 2007.

25 Abdul Rahman Nashaji, The Tunisian Question and Ottoman Policy 1881-1913, translated by: Abdul Jalil Al-Tamimi, Dar Al-Kutub Al-Sharqiya, Tunis, 1973.

26. Abdul Aziz Muhammad Al-Shennawi and Jalal Yahya, Documents and Texts of Modern and Contemporary History, Dar Al-Maaref, Cairo, 1969.

27. Barthélemy Saint-Hilaire, International Information Network (Internet), available at the following link: https://daralhikma.org/index.php/Item:Q1332164, accessed on October 5, 2024, accessed at 8:46 PM.

28., Paul A. Silverstein , Algeria in France Transpolitics Race and Nation , Indiana University , Press , 2004.

29. Robert Gascoyne-Cecil, 3rd Marquess of Salisbury , Wikipedia , The Free Encyclopedia.

30. Stanford J. Shaw & Ezel Kural Shaw , History Of The Ottoman Empire and Modern , Turkey , Reform , Revolution , and Republic , The Rise of Modern Turkey 1808-1975 , Volume II, Cambridge University Press , 1977.

31. Tukumbil Umu ba-Kasongo , The Dynamics of Economic and Political Relations Between Africa and Foreign Powers , A Study in International Relations , London , 1999

32. Abdul Aziz Muhammad Al-Shennawi and Jalal Hatti, Documents and Texts of Modern and Contemporary History, Dar Al-Maaref, Cairo, 1969 .

Amy Mckenna , The history of the northern Africa , Britannica Educational 33.

publishing in Association with Rosen Educational services , New York , 2010

34. A.J.P. Taylor, The Struggle for Mastery in Europe, 1848-1918 , 1954